الفصل الثاني
الصِراع بين الخير والشرّ

obeikandl.com

2.1: الصِراع بين الخير والشرّ

الخيـر والشـرّ خصـمان متنافسـان يتصـارعان دائمًـا فـي نفـوس البشـر وأهـوائهم وتصرفاتهم، فهذه مشكلة قديمة تدور حول مصدر الشرّ ووجوده، وقد شغلت هذه الثنائية بال كثيرين.

إنّ الحضارات القديمة أوعزت الشّرّ لآلهة الشّر الّتي تتصارع مع آلهة الخير، وتكثر الأساطير الّتي تروي عن كيفيّة حدوث الشّرّ في العالم، كما تكثر الشّروحات في الفلسفات والدّيانات الشّرقيّة القديمة كذلك في الفلسفة اليونانيّة إذ أفلاطون يعتقد (أن الخير طبع لمن اعتادهُ، والشر مباح لمن أرادهُ)[1].

(ويقول أفلوطين: هل تعد الشر ضرورة في العالم لأنه وليدة مبادئ عليا؟ نعم لأن العالم دونه ناقص، إن أكثر الشرور، إن لم تكن كلها، مفيدة للعالم كالحيوانات السامة، مع أن الناس يتجاهلون فائدتها، حتى الشرّ مفيد في حالات معينة، ويستطيع أن ينتج كثيرًا من الأمور الجميلة، إذ يؤدي مثلاً إلى ابتكارات مليحة، ويدفع بالناس نحو التعقل ولايخلّيهم والاستنامة إلى الاطمئنان الخامل)[2].

وكان السّؤال دائمًا إذا ما كان هناك من مقياس ثابت لتحديد الخير والشّرّ يناسب الإنسانيّة على مرّ العصور.

والحقيقة أننا يجب أن نقرر أن يقظة الضمير والتفريق بين ما هو خير وما هو شر كان مرحلة من مراحل تطور الإنسان، وربما كان من أهم هذه المراحل، فمن هذا الاحساس نشأ نوع جديد من الديانة، فإن الديانات البدائية قائمة على خوف و قوى شريرة ومن يمثلون هذه القوى من الكهان، أما يقظة الضمير والشعور بالخير والشر فقد نشأ عنه قيام إحساس بضرورة حماية الخير ومقاومة الشر.[3]

---

[1] - محرك البحث، موقع ستار تايمز، مقالة نشرت تحت عنوان (الخير والشر عند الفلاسفة) بقلم أحمد السليني.
[2] - الشعر العربي في المهجر(أمريكا الشمالية)، د.إحسان عباس، د. محمد نجم، ص56.
[3] - ينظر الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، د. حسين مؤنس، ص90، عالم المعرفة، 1990.

obeikandi.com

أما هيجل فيقول عن الخير والشر: (إن الخير يُعرّف بأنه اتفاق الإرادة مع فكرتها الشاملة, وبالتالي فالخير يتوقف على السلوك العقلي، أما الشرّ فهو اتباع الإرادة لأهوائها ونزواتها اللاعقلية ولغايتها الخاصة المعارضة للعقل أو المضادة اللارادية الكلية)[1].

أمّا الدّيانات السّماويّة (الديانات المؤمنة بالوحي)، فإنها رفعت مفهوم الخير إلى مرتبة القداسة وجعلته من صفات الله الخالق لجميع الأشياء. أمّا وجود الشّرّ في هذا العالم فهو يرجع إلى عمل روح الشّرير أو إبليس (الشّيطان).

(ومن الأفكار الوجودية التي تقلق وجدان الشاعر فكرة الخير والشر، فيراها الشاعر خادعة في مظاهرها، فالشر هو أصل الحياة؛ فالكبير يأكل الصغير والحي يتغذى بالهالك، والقوي يبطش بالضعيف، والظلم و الخراب منتشران في كل مكان)[2].

وقد نوقشت هذه المسألة نفسها في الفكر الغربي، وبالمستوى نفسه ببعديه الديني والفلسفي، وخاض فيها فلاسفة كبار أمثال:(كانت)، و(روسو)، و(آدم سميث)، و(هوبز)، و(سبينوزا)، و(شوبنهاور) وغيرهم من علماء الأخلاق والنفس.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود: (ويطبق مور مبدأه في قبول الإدراك الفطري على فكرة الخير فلا يتردد في قبولها، إذ يكفي أن الإنسان بإدراكه الفطري يعلم أن الخير موجود.....لهذا يقول مور: إنني إذا سئلت (ما الخير؟) لأجبت بقولي : (الخير هو الخير)[3].

أما العذاب و الشرّ فنجد لهما مكانًا في الفن الرومانتيكي؛ لأنهما يمثلان الروح الممزقة أو الروح التي في صراع، مع نفسها وهذا موضوع الفن[4].

قال الدكتور مصطفى محمود في كتابه الوجود: (أمر لا غرابه فيه فقد قال الله سبحانه وتعالى لإبليس وهو رسول الشرّ حينما طلب إبليس منه الإمهال قائلًا:**{رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}**(سورة الحجر، الآية 36)، فأجابه إلى طلبه وقال له: { **فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ • إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}** (سورة الحجر، الآية 37،38)، وبذلك جعل له وهو رسول الشرّ حضرة دائمة

---

[1] - هيجل ولتر ستيس فلسفة الروح، المجلد الثاني من فلسفة هيجل، ص90، تقديم زكي نجيب محمود، ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام.

[2] - الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث، طلعت عبدالعزيز أبو العزم، تقديم د. شوقي ضيف، ص93، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981.

[3] - كما ورد في (من زاوية الفلسفة)، د. زكي نجيب محمود، ص184، و المقصود هنا الفيلسوف الإنجليزي (جورج مور).

[4] - ينظر فلسفة الروح هيجل، ولتر ستيس، ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام، ص151.

إلى يوم القيامة، فلا غرابة أن يجعل لمحمد عليه الصلاة والسلام وهو رسول الرحمة حضرة دائمة)[1].

وقول الدكتورة أميرة حلمي مطر في كتابها (عن القيم و العقل في الفلسفة والحضارة): (إن الخير مصدره الله، أما الشرّ فمصدره النفس، وكل ما يصدر عن الأول هو خير، وما يصدر عن الثانية شرّ وقبيح، و الناس ينقسمون إلى هذين القسمين)[2].

وطبيعة البحث تتطلّب تركيزًا أكثر على نظرة الرومانتيكيين إلى تلك الثنائية التي تؤمن أن الخير لايرى إلاّ من خلال الشرّ.

وهي فكرة (بويمه)* الذي كان يقول في تفسير ظاهرة الشر في الوجود: إن الله قسم إرادته إلى قسمين، نعم (الخير) ولا (الشرّ)، وكل الطبيعة ترمي لتحول الإرادة التي تقول (لا) إلى الإرادة التي تقول (نعم)، وعند هؤلاء الرومانتيكيين أن الشيطان هو الذي عرَّفه فاوست** بقوله: إنه الروح التي تقول دائمًا لا[3].

(وكانت الغاية الأولى لأُولئك الرومانتيكين تحويل تلك (لا) إلى (نعم)؛ أي تحويل الشر إلى الخير، ويلقون العبء الأكبر من الشر على كاهل المجتمع والحاكمين فيه، لا على الفرد الذي هو ضحية دائمًا، كذلك الخلط بين مبدأى الخير والشر، لأن الأبطال الرومانتيكيين يعتقدون أنهم مكرهون على عمل الشر، وهم يشتاقون إلى خير مستحيل التحقيق)[4].

وقد قال د. محمد غنيمي هلال في كتابه الرومانتيكية: (وينبغي أن نشير هنا إشارة عابرة إلى ضيق الرومانتيكيين ذرعًا بالقدر، فتثور غالبيتهم من الناحية الميتافيزيقة، فيصوّرون الشيطان في تمرّده في صورة المضطر المعذور، لأنه طرد عن الخير وكان طرده ظلمًا فيما يعتقد، فدفعه اليأس إلى رد الشر بالشر، وإلى الإدمان عليه، ووجود الخير

---

[1] - الوجود والعدم، د. مصطفى محمود، ص71، دار العودة للطباعة والنشر، بيروت،1986.

[2] - عن القيم والحضارة، د. أميرة حلمي مطر، ص145.

* يعقوب بويمه متصوف ألماني (1575-1624م).

**فاوست أو فاوستوس (Faustus): هو الشخصية الرئيسة في الحكاية الألمانية الشعبية عن الساحر والخيميائي الألماني الدكتور يوهان جورج فاوست الذي يُبرم عقدًا مع الشيطان. تدور قصة فاوست في شكلها الأساسي حول سعيه إلى اكتشاف الجوهر الحقيقي للحياة، ما يقوده إلى استدعاء الشيطان ويمثله مفستوفيليس ليبرم معه عقدًا يقضي بأن يقوم بخدمته طوال حياته ليستولي على روحه بعد مماته، لكن الاستيلاء على روح فاوست مشروط ببلوغه قمة السعادة، وأصبحت هذه القصة أساسًا لأعمال أدبية مختلفة لكتاب مختلفين حول العالم لعل أشهر هذه الأعمال هي مسرحية فاوست لغوته، وأيضًا كريستوفر مارلو، كلاوس مان، توماس مان، كلايف باركر، تشارلز غونود، هيكتور بيرليوز، أريغو بويتو، أوسكار وايلد، تيري براتشيت، ميخائيل بولغاكوف، فرناندو بيسوا ومن العرب علي أحمد باكثير في فاوست الجديد، (من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

[3] - ينظر الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، د.إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، ص 57.

[4] - الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال، ص120.

في العالم وتوجيهه بطريقة تستعصي على الفهم سببًا لسيطرة الشر، حتى إن وجود البراءة والطهر يثيران نفس الرومانتيكي لأنهما يستلزمان الغرة والغفلة، وبهما يستشري الشر، وقد فَقَدَ ضحايا القدر عند الرومانتيكيين حاسة الخير والشر، فكيف لهم بالقدرة على فعل الخير وتجنب الشر؟ وهذا الشيطان نفسه، بعد أن حقت عليه اللعنة، لم تبقَ له قدرة الشعور بالشر أو صنيع الخيرات، بل إنه لايجد من لذة فيما يفعل من صنوف الشقاء) [1].

ومهما كانت المحاولة لتحويل الشر إلى الخير أو كسر هذه الثنائية فإنه يعود إلى نقطة البداية فلا يمكن تجنب الشر، فقد حاول في القرن السابع عشر الأسقف وليم كينج تفسير (الشر الطبيعي)، ولكنه في النهاية أرغم على القول بأن هذا سيؤدي (لامحالة إلى تعذر تجنب الصراع المتبادل بينهما)[2].

وكثيرًا ما حمل أعداء الرومانتيكية عليهم بسبب الخلط بين مبدأي الخير والشر، كما ذكرناه سالفًا، ولكن الحق يقال: إن الرومانتيكيين لم يوصوا قط بالشر، وإنما هم ثوريّون، والثورة قد يصحبها تَطرّف، ومن طبيعة التطرف التمرّد.. ففي ضيقهم بالقدر استجابة إلى تطلعهم الدائب إلى عالم من الخير لاشوب فيه ولاعائق، وهو في هذا العالم ضرب من التطلع إلى محال؛ ولذا كانت الحياة هنية لديهم، ينادون بالتضحية بها في سبيل الإنسانية، أو بالخروج منها نجاة من شرور لامناص منها إلا بالموت[3].

(ولعل سائلًا يسأل عن الخير والشر في الحياة، أهما ضربة لازب لايقوم أحدهما إلا بصاحبه، فلولا الخير ما عرف الشرّ، ولولا الحسن ماكان القبح؟)[4]

شغلت هذه الثنائية شعراء المهجر، إذ نما هذا الصراع في وجدانهم، لكن أيُّ القوتين يوجّه الإنسان في الحقيقة؟ والإجابة عن ذلك تكمن في أن هاتين القوتين صورة لقوة واحدة، وإن هذا التساؤل ليس إلا حيرة حرفية، أو شكلًا شعريًا يثور في نفس الشعراء المهجريين[5].

---

[1] - الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال، ص122.

[2] - الرومانتيكية، روبرت جلكنر وجيرالد إنسكو، ترجمة د. أحمد حمدي، ص358، الهئية المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986.

[3] - ينظرالرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال، ص122.

[4] - الشعر العربي في المهجر، د. محمد عبدالغني حسن، ص62.

[5] - ينظر الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، د. احسان عباس، د. محمد نجم، ص56.

فجبران يستهل قصيدته (المواكب)، ملخِّصًا لّنا حقيقة الخير والشرّ كما يفهمها المجتمع، لا كما يجب أن تكون، يقول:

الخَيرُ في الناسِ مَصنوعٌ إذا جَبَروا والشرُّ في النـاسِ لا يفنى وإنْ قُبروا
وأكثرُ النَاسِ آلاتٌ تُحرّكهُـــــــا أَصـــــــــابعُ الدّهرِ يَومًا ثُم تنكسرُ
فَـــــلا تَقولَنَ هَذا عالمٌ علـــــمٌ ولا تَقولَـــــــــــن ذاك السَيد الوقرُ
فَأفضـلُ الناسِ قطعانٌ يَسِير بِهـــا صَوتُ الرّعـــاةِ وَمنْ لم يمْش يَندَثرُ [1]

يرى الشاعر أن الناس لايصنعون الخير إلاَّ إذا أُجبِروا على ذلك، أما الشرّ فهو متأصل في النفس البشرية لدرجة أنه قال إن الشرّ يبقى حتى بعد الموت .... ويَرى أن الزمن يَلعب بالناس كالآلات وَيحُركها حسب هواهُ ولكن يأتي يوم وتنَكسر أصابع الزمن وتفلت الآلات (البشر) من تحكم الزمن بها.

ويعلق ميخائيل نعيمة على هذه القصيدة قائلاً: (يطلّ الأول على الحياة من كوّة لايبصر منها إلا الإنسان، وبعد أن يتفحصها بمجهر عقله يجدها حلقات متنافرة متناقضة، الخير والشر، ويجد الناس في ارتباك و تشويش، كي يزنوا الحلقات المتنافرة، لكن لايستطيعون، أما هو- أي جبران- فضنين بمعرفته على قدر ما هو جواد بهزئه، فهو يهزأ بخير الناس وشرّهم، ولايقول ماهو خيره وشره) [2]. وطالما كان الحال على هذا النحو يجب على الإنسان ألا يتفاخر بعلمٍ أو بمجدٍ، فالناس عبارة عن قطيع يتبع الراعي ومن لايتبع هذا الراعي القوي يزول أو يضيع، أما في الغاب حيث الوضع الأمثل فلا نجد راعيًا أوقطيعًا ولاقائدًا ولامقودًا، والحياة ربيعٌ مستمر بعد زوال الشتاء وكأن الربيع لا يخضع للشتاء القوي، أما الناس فهم عبيد يتبعون القوي، المواكب المنظومة ما هي إلاّ تصوير للمجتمع في تقاليده المجرمة، وسيرته المضطربة، وقيادة له نحو الجمال والخير، حيث جعل جبران ذات صوتين، صوت الشيخ خارج المدينة، مستنكفًا من شرورها ونذالاتها، مع صوت الفتى

[1] - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران- العربية من(قصيدة المواكب)، تقديم ميخائيل نعيمة، ص361، الطبعة الثالثة، مكتبة صادر- بيروت، 1951.
[2] - السابق، ص186.

المرح الخارج من الغاب، داعيا الناس إلى الغاب، حيث تتساوى الحياة وتنسجم، فينشأ عن تساويها وأنسجامها الخير المطلق[1]

ويقول الدكتورأنس داود في كتابه الطبيعة في شعر المهجر: (وإن الشر في الطبيعة الإنسانية حتى يعجز الناس عن صنع الخير إلا إذا حملوا عليه حملاً..لأن ذلك الشر المتأصل في طبيعتهم لافناء له إلا حين تنقضي أعمارهم، ويستريح الوجود من حياتهم)[2].

(إن فلسفة جبران كانت أعلى من خيال الناس، هو الفنان الحق الذي كان يستلهم الواقع الذي كان يعيشه في غربته هناك، وإن فكرة القصيدة فكرة فلسفية، يريد أن يقدم للناس حكمه، ومواعظه، وتجاربه في الحياة، فهذه القطعة تعد قطعة جمالية خالصة وكأنى به يريد أن يبعث (أفلاطون) و(سقراط) ليصيغا الحياة من جديد في ثوب المدينة الفاضلة من خلال فلسفتها في دنيا الحياة، حيث إن الخير في الناس مصنوع، و الشر كامن فيهم، مطبوع حتى بعد الموت، وفناء الحياة، إلى أن يتم العرض والحساب على الله، حيث الحساب في يوم القيامة)[3].

وكذلك يقول جبران في كتابه النبي على لسان المصطفى: (وهل الشرُّ إلا خيرٌ أضناهُ ما كَمَنَ فيه من جوع وظمأ؟ لَعَمري إن الخير إذا جاع التمس الطّعامَ ولو في الكهوف المظلمة، وإذا عَطِشَ روى ظمأهُ ولو من المياه الآسنة)[4].

وكذلك يقول الدكتور فوزي عطوي: (تاه جبران في مفازة المتناقضات، مفازة الخير والشر، وقد خُيّل إليه وهو يتلمس طريقة للإفلات من قبضة الشرّ أن في استطاعته القضاء عليه، بتوجيه ضربة محكمة إلى يأفوخه،.....لكن الشرّ ما برح يجول و يصول في الأرض، وكيف النجاة من مفازة الخير والشرّ التي تبدو كما لو كانت بغير بداية ونهاية)[5].

وإنه ينزع إلى نوع من المقارنة المستمرة بين حياة البشرية الراسفة في قيود الشر والظلمة، وحياة الغاب التي تصور فيها بشرية الإنسان، فلا تلوثها الأطماع ولاتدنسها

---

[1] - ينظر على التوالي: أدب المهجر، د. عيسى الناعوري، ص265-269. / جامعة المدينة العالمية، تعريف عام بالمراد من "الأدب المهجري" ومعناه وطبيعته:http://vb.mediu.edu

[2] - الطبيعة في شعر المهجر، د. أنس داود، ص76، دار القومية للنشر والطباعة، القاهرة، مصر.

[3] - النص الأدبي في العصر الحديث، بين الحداثة و التقليد، د.عبدالرحمن عبدالحميد علي، ص88، بدون طبع، القاهرة، 2005.

[4] - النبي، جبران خليل جبران، ترجمة د. ثروت عكاشة، ص69، دار الشروق- القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، 2014.

[5] - عبقري من لبنان، د. فوزي عطوي، ص47، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 1989.

الشرور والأحقاد، وهو يقصد من هذه المقارنة الكشف عن خطايا البشر وآثامهم، ثم نشدان عالم الخير والفضيلة الذي تتطهر فيه النفس[1].

وقد ذكرت أن غاية الرومانتيكيين تحويل (لا) إلى (نعم)، وغاية ميخائيل نعيمة هي تهدئة الحال بين العنصرين، والتوفيق بينهما لأن الناس يظنونهما متعاركين، مع أنه ليس للواحد منهما غنى عن الآخر، والعنوان: الخير والشر، يوحي بهذه الثنائية، وألفاظ القصيدة كذلك تتسم بالمطابقة التي تزيدها إشعاعًا، فالشيطان يقابله الملاك، والجحيم تقابله السماء، والبقاء يقابله الهلاك، والنار يقابلها النعيم، وقد رسم هذه الفكرة في قصيدته (الخير والشرّ) يقول:

سَمعتُ في حُلمي - وَيا للعجــبْ- سَمــعت شيطانًا يناجي مــلاكْ
يَقول: (إي بل ألف إي، يا أخي) لَــولاَ جحيمي أينَ كانتْ سماكْ؟
أليسَ أنّا تَوأمـــــانِ اســتَوى سرُّ البـَقاء فِينا، وَسِرُّ الهَـلاكْ؟
ألمْ نُصغ مِن جَوهرٍ واحـــدٍ؟ إنْ يَنسني النَاس، أَتَنسى أخَاكْ؟

***

فَأطْرق ابنَ النور مُســتَرجِعًا في نَفْسِــهِ ذكْرى زَمَان قــديمْ
وَاغرَوْرَقَتْ عَيْنَــاهُ لَمْا انْحَنى مُستَغفِــرًا، وَعَانَق ابن الجَحِيمْ
وَقَال:إي، بَلْ ألف إي، يَـا أَخي مِن نَــارِك الحرّي أتَاني النَــعيمْ
وَحلَّق الاثنان جَنْبَــــــًا إلى جَنْبٍ، وَغابا بين وشي السَّديمْ[2]

وهي قصيدة طريفة في تلازم الخير والشرّ تعود بنا إلى ميثولوجيا قديمة عن الشيطان والملاك، وقد كتبها أولاً بالإنكليزية تحت عنوان: "The Endless Race" ونشرها في جريدة التايمز عام ثمانية وعشرين وتسعمائة وألف، ثمَّ صاغها بالعربية ونشرها في ديوانه (همس الجفون).

فالشاعر هنا يصور حوارًا بين الشيطان والملاك، وتعبيراته خدمت الفكرة التي ترمي إلى ترسيخها في أذهاننا، فالتعبير بقوله (يناجي) يوحي بمعتقد الشاعر في امتزاج الخير والشرّ في الإنسان، وأن الخير نابع من الشرّ، (وتأتي الصورة الجزئية لتشارك في تجسيد

[1] - ينظر حركة التجديد الشعري في المهجر، د. عبدالحكيم بلبع، ص205، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1980.
[2] - همس الجفون، من قصيدة (الخير والشر)، ميخائيل نعيمة ، ص62.

الفكرة وتأكيدها، فيعبر عن الخير والشر بأنهما (التوأمان)، وذلك التجسيم للمعاني وهذه الخاصية التعبيرية من خصائص الصورة عند المهجريين وقد شاعت في الشعر الحديث حتى أصبحت أسلوبًا عاديًا)[1].

لكن الدكتور شوقي ضيف يقول: (إن ميخائيل نعيمه يرى الخير والشرّ أخوين، بل توأمًا واحدًا، فهما سر الوجود، صيغا من جوهر متحد، وإن اختلفا شيطانًا وملاكًا وظلامًا ونورًا وجحيمًا و نعيمًا، بل لولا نار الشر ماتمت للخير صفات نعيمة ولاشعر الإنسان بهذا النعيم، فهو الذي يعرفه به و يجتاز بنيران آلامه، ولو أن العالم كان خيرًا خالصًا لما عرفنا قيمة الخير و لانفعه وفائدته، ولبطل الشعور به وبطلت الفرحة و السرور، بل لبطل نظام الدنيا وعَدّمَ معانيه و حقائقه، وما الدنيا إلاّ نافع وضارّ، ومكروه وسار، وممتع و مؤلم، ومؤنس وموحش، وبذلك كله يتم للإنسان تمييزه وصلاحه، حين يعرف الشر وأذاه فيتركه إلى الخير ونفعه، فالشرّ و الخير أخوان وجدا مع ابتداء الدنيا ويستمران إلى انقضائها)[2].

ويقيم دليلاً على معتقده في أن الخير والشرّ توأمان فيقول (ألم نصغ من جوهر واحد؟) وكلمة (الجوهر) من المدلولات الفلسفية وتأتي دقة التصوير والوصف في قوله:

فَأطْرق ابنَ النُور مُسْتَرجِعًا فِـــي نَفْسِهِ ذِكرَى زَمَان قَدِيم

التعبير عن الخير بابن النور تعبير جديد، فالنور هنا رمز للنقاء والطهر، والخير رمز لابن آدم، والشر رمز لإبليس.

ويعترف الملاك بفضل الشيطان عليه(من نارك) أيأتي النعيم، ويختم نعيمة تصويره لمعتقده بصورة خيالية فيقول:

وَحَلَّق الاثْنَان جَنْبَـًا إلى جَنْب وَضَاعًا بَيْنَ وَشى السَديمْ

يقول الدكتور صابر عبدالدايم (أعتقد أن نعيمة لايقصد بالملاك جنس الملائكة وإنما يرمز به إلى الإنسان النقي الطاهر و يومئ إلى قصة آدم، حيث أمر الملائكة بالسجود لآدم فأبى إبليس فكانت معصيته و طرده من الجنة بسبب النعيم الذي أغدقه الله على آدم، ثم

[1] - أدب المهجر، د.صابر عبدالدايم، ص193.
[2] - دراسات في الشعر العربي المعاصر، د.شوقي ضيف، ص218.

وسوس إبليس لآدم فأكل من الشجرة وعصى ربه، ولكن تاب الله عليه وهداه وأمره بالهبوط إلى العالم الأرضي ليصارع إبليس رمز الشر، الذي يجري مجرى الدم في العروق)[1].

أما إذا كان نعيمه يقصد بالملائكة، فليس لديَّ شكّ أنَّ الخيرَ والشرّ في طبيعة الإنسان ولكن الشرّ ليسَّ من طبيعة الملاك، فالملائكة عباد مقربون، والإيمان بعصمة الملائكة جميعهم من دون إستثناء، لأن ليس لهم القدَرة على مَعصية الله، فَهَم مجبولون على الطَاعة، وَمِن ما دلَّ على ذَلك قَولهِ تَعَالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** (سورة التحريم، 6)، **و {لَايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}** (سورة الأنبياء، 27)، فالقَصد هُنا هوَ العصمة، فلا يَعصمون الله ما أَمرهم وَيفعلونَ مايُؤمَرَون.

ويُرى أيضًا أنَّ نعيمة ينبئنا بأن الخير أخٌ للشرّ، فهما من عنصر واحد، ولعله ناظر في هذا إلى ما جاء في الأديان، من أن الشيطان قبل عصيانه كان واحدًا من الملائكة، ولكنه أراد أن يصطحب الحالين معًا، وهذا ما يتمناه ميخائيل نعيمة، لينعدم الصراع بينهما، فهو هنا لم يقتل الثنائية، بل تمنى زوالها، وإذا تغاضينا عن هذه الخطرة الشعرية، وجدنا أن الشاعر لم ينكر الازدواج، بل أقر بأن وجود الشر شئٌ ضروري[2]، (وهنا تعود الفكرة إلى فكرة أفلوطين و قولهِ في الشر إنه ضرورية ومفيد ومن دونه تكون الحياة ناقصة)[3].

وبعدها يرى الخير والشر أمرين متلازمين، بل يجهل أيهما هو الذي يحكم قلب هوعلى الرغم من الطمأنينة بعد اليقظة نجده قلقًا لايستقر به الحال لحاجته إلى قلب يتعاطف مع قلبه:

غَدًا أَعِيدُ بَقَايَا الطينِ للـــــطِينِ وَأُطْلق الرُوحَ مِن سجنِ التَخَـامِين
وَأتركُ المَوتَ لِلمَوتَى وَمن ولِدوا وَالخَيــرُ و الشرُّ للـدنيا وَ لِلــدين
وَ ألبسُ العري دَرْعًا لاَتُحطمـــه أيدي المَلائك أو أيديَ الشَيَــاطِين[4]

---

[1] - أدب المهجر، د.صابر عبدالدايم، ص 194.
[2] - ينظر الشعر العربي في المهجر(أمريكا الشمالية)، د. احسان عباس، د. محمد نجم، ص57.
[3] - الرومنطيقية العربية، د. عيسى بلاطة، ص136.
[4] - همس الجفون من قصيدة (يا بحر)، ميخائيل نعيمة، ص96،95.

لو قُيِّم فهمه للخير والشرّ والمسئولية الإنسانية والطمأنينة و العلاقة بين الله والإنسان، ففلسفتهِ لا يعتريها تناقض، ومعنى ذلك أن القاعدة الفلسفية في شعره سليمة.

وفي مكانٍ آخر نرى أنه راعه ما تنطوي عليه النفس -وهي فيض من إله كما يقول- من تناقض بين نزعات الخير والشر، ومايتصارع في أعماقها من ميول وأهواء ...إن هناك شيئًا داخليًا يسعى في الطريق المقابل لطموحه الروحي شيئًا يكاد يعوق تساميه إلى عالم المثل العليا، والكمال المطلق... فيقول:

يَا بَحرُ، يَابَحر قُلْ لِي هَــلْ فِيكِ خَـــيرٌ وَ شَرٌ؟

***

وَقَفتُ، وَاللَـــيْل دَاجٍ، وَالبَـــــــحر كَرٌّ وَ فَرّ
فَلَمْ يجبنيَ بَحـــــرٌ وَ لَـــــــمْ يجبنيَ بَرّ
وَ عِنْدَمَا شَابَ لَـــيْلي وَ كَـــــــحّل الأفقَ فَجرُ
سَمعتُ نَهرًا يَـــغنّي: (الـــــكَونُ طَـيٌّ وَنشرُ
في النَاسِ خَيرٌ وَشَـرّ فِي البِحرِ مَدٌّ وَ جـزرُ)[1]

هذه واحة الأمان التي لجأ اليها الشاعر بعد صراع عاصف حول حقول النفس الإنسانية المتناقضة، واشتمالها على الأضداد.

(ولكن أي القوتين يوجه الإنسان إلى الحقيقة؟ والجواب عن ذلك أن هاتين القوتين صورة لقوة واحدة، وأن هذا التساؤل ليس إلا حيرة حرفية، أو شكًا شعريًا، كالذي يثور في نفس نعيمة أحيانًا)[2]، وأطال شعراء المهجر العكوف على أنفسهم، وأمعنوا في دراستها والتفكير فيها لكي يصلوا إلى نتيجة، مما يعتريها من ثورة واضطراب وما يحدث فيها من نزاع وعراك بين الخير والشر، حتى ليخيل لميخائيل نعيمة أحيانًا أن بداخله صراعًا هائلًا بين شيطان وملاك، يختصمان على احتلال نفسه وحتى يمكث فيها الخير أم الشرّ، وهو واقف مذهول أمامها لايدري ماذا يفعل[3]، ويعبر عنه في قصيدة (العراك):

دَخلَ الشيطانُ قلبي فرأى فيه مَـــــــــلاكْ

---

[1] - همس الجفون قصيدة يا بحر، ص95.
[2] - الشعر العربي في المهجر(أمريكا الشمالية)، د. إحسان عباس، د. نجم محمد، ص57.
[3] - ينظر شعراء الرابطة القلمية، د. نادرة السراج، ص126.

وَ بِلمح الطرف ما بينهما اشتدَّ العـــــراكْ

ذَا يَقول: البَيْت بَيتي، فَيَعيدُ الـــــقَول ذاكْ

وَأنَا أشْهَد مَا يَجري وَ لا أبدي حَـــــــراكْ

سَائِلًا رَبي: (أفيْ الأكوانِ من ربٍّ سِـواك؟

جَلَبت قَلبي مِن البَدء يَداه وَ يَـــــــــدَاك؟

***

وَ إلـى اليَومِ أَرانِي فِي شكُوك وَ ارتِبَـــاك

لَسْـتُ أَدري أَرجيمٌ فِي فُؤادي أم مَــلاك[1]

(على أن في تساؤل نعيمة: أفي الأكوان من رَّب سواك؟ تحويمًا حول تحديد مصدر الشرّ، وهي تلك المشكلة القديمة، كما ذكرنا سابقًا، حيث يفيدنا هنا عند قوله (دخل شياطن قلبي) لذكرهِ القلب مقترنًا بالشيطان، أو الشرّ، والقلب عند المهجريين هو الذي يوصل إلى الحقيقة، فإذا أصبح القلب نفسه موطنًا للصراع بين الخير والشر، فالأمر دقيق بالغ الدقة، عندئذٍ إما أن يكون الإنسان بغير قائدٍ سليم، وإما أن يكون توجهه إلى الخير أو إلى الشرّ، سيرًا في طريق واحدة، يختلف الناس في تسميتها، فبعضهم يسميها طريق الخير، و بعضهم يسميها طريق الشرّ)[2].

أما أبو ماضي في مطولته (الطلاسم) فهو يبحث عن الحقيقة عن طريق آخر عن طريق العلاقة بين الإنسان و الطبيعة ، بينه وبين مظاهر الوجود، وبينه وبين مختلف طوائف البشر وملاحقة كل ذلك بالتساؤلات عن بداية الحياة وغيرها وحقيقة الخير والشر[3] يقول:

جِئْتُ لا أعلَمُ مِن أَيْنَ ؟ وَلـــــــكنّي أَتَيْتُ

وَلَقَدْ أبصَرتُ قُدَّامي طَـريقًا فَـــــــمَشَيْتُ

وَسَأبْقى مَاشِيًا إنْ شِئتُ هَذا أَمْ أبَيـــــــتُ

كَيــفَ جِئتُ؟ كَيفَ أبصرتُ طَريـــــــقِي؟

لَسْتُ أَدْرِي!

* * *

[1] - همس الجفون، ميخائيل نعيمة، من قصيدة (العراك)، ص94.

[2] - الشعر العربي في المهجر(أمريكا الشمالية)، د. إحسان عباس، د. محمد نجم، ص58.

[3] - ينظر التجديد في شعر المهجر، د.أنس داود، ص412.

أَجَديدٌ أَم قَديمٌ أَنا في هذا الـــــــــــوُجودْ
هَلْ أنا حُرٌّ طَليقٌ أَمْ أسيرٌ في قيـــــــــــودْ
هَلْ أنا قَائِدُ نَفسي في حَياتي أم مَقُـــــــودْ
أَتمنّــى أَنّــني أَدْرِي ولَـــــــــــــكنْ
لَستُ أدري!

* * *

وَطَريقي، مَا طَريقي؟ أطَويلٌ أم قَصـــــــيرْ؟
هَلْ أنا أصعَدُ أَمْ أهبِطُ فيـهِ وأَغـــــــــورْ
أأنا السّائِرُ في الدَّربِ أَمْ الـدَّربُ يَســـــــيرْ
أَمْ كِلاَنَا وَاقِفٌ وَالــدَّهرُ يَجـــــــــــري؟
لَستُ أدري!

* * *

قَد رَأيْتُ الحُسْنَ يُنسَى مِثلَما تُنَسى العُيوبُ
وَطُلُوع الشَّمسِ يُرجى مِثلَما يُرجى الغُروبُ
وَرَأيتُ الشَّرَّ مِثلَ الخَيرِ يمَضـــــي وَيؤوبُ
فَلِمـاذا أَحسَـبُ الشَـــرّ دَخيـــــــلاً؟
لَسْتُ أَدري![1]

نلاحظ أن إيليا أبو ماضي تطرّق إلى التفكّر في الحياة والتأمّل في الكون وفي الخير والشرّ، وينهي كل التساؤلات بتأكيد الحيرة وتأكيد اللإدرية، فلا أحد يدري شيئًا ... لست أدري .....لست أدري....

ويختم الاسطورة -الخمائل- بـ:

هُمْ حَدَّدوا القُبحَ فكان الجمالْ و عرَّفـوا الخَيرَّ فَكـــانَ الــصَلاحْ
وَلَيْسَ من نَقصٍ وَلا مِن كَمالْ فَالشــوكُ فِي التَحْقيــق مثل الأقاحْ

[1] - الجداول، إيليا أبو ماضي، من قصيدة (الطلاسم)، ص160.

obeikandl.com

وَذرةُ الرَملِ كَكلِّ الجِبـــــالْ وَكالذي عَزّ الذي هَـــــــــانا![1]

(فالحياة وحدة تتساوى فيها المتناقضات، وتتكامل الأضداد، وتتوحد الثنائيات من قبح وجمال، وخير وشر، حاول أبو ماضي أن يكسب لنفسه لقب (شاعر التفاؤل) في فلسفة الحياة، وقصره البحث في معنى الحياة وقضاياها وثنائياتها الكبيرة: الخير والشر)[2].

أما في قصيدة (السماء) فيرفض التعريف التقليدي للخير والشر، و يرفض أن يضع الواحد في موضع و الثاني في موضعٍ آخر:

أكبرُ الإثمِ قَولَةُ المرءِ هَذا الأمــرُ إثـــــــــــــم، وهذه فحشاء
لَيْسَ بَيْنَ الصَلاحِ وَ الشَرّ حَدٌّ كَـــالذي شاء وَضعهُ الأنبياء
وَإذا لَمْ يَكن عَفافٌ وَفِســـقٌ لَم تَكُنْ حشمةٌ وَلا استحياء[3]

الخير والشر نسبيان، الواحد تعارض الآخر بمعارضة الخير فقط يعرف الشر، فلو لم يكن هناك جرائم وحمق لم يكن هناك الخير والفضيلة، وقد أراده موقفًا للشعب جامحًا بين أشتاته، لامّا شعثه ولكنه شعب[4]....كما وصفه:

شَعْبٌ كَما شَاءَ التَخاذُلُ والّهَوى مُتفـــــرِّقٌ وَ يَكادُ أنْ يَتَمَزّقـا
لايرتضي دينَ الآله مُوَفّقـــــــا بَينَ الـقُلوبِ ويَرتَضيهِ مُفَرّقــا
كَلِفٌ بِأصحابِ التَعبُّدِ و التُّـــقَى والشَرُّ مَابينَ التَعُّبدِ وَ التُّقى[5]

(هنا ثار الشاعر، لأنه يرى الشر كل الشر ما بين التعبد و التقى..)[6] وقد يفعل الخير للخير ذاته جبلة وخليقة، كما في فوح الورد، وتغريد البلبل، وجود الغيث- وآية الاستجابة لذلك باعتناق المحبة التي تقنع الإنسان بأن سعادته كامنة في فعل الخير وإسعاد البشرية:

كُنْ بَلسمًا

إنَّ الحياةَ حبتَك كلَّ كنوزِهـــا لا تبخلــنَّ على الحياة ببعض ما..

---

[1] - الخمائل، إيليا أبو ماضي، ص449.
[2] - ديوان إيليا أبو ماضي، تقديم زهير ميرزا، ص51.
[3] - الجداول، إيليا أبو ماضي، من قصيدة (السماء)، ص25.
[4] - ينظر الشاعر المهجر، إيليا أبو ماضي، فؤاد ياسين، ص 66، مطابع الدار القومية، سورية.
[5] - ديوان إيليا ابو ماضي، من قصيدة (وداع وشكوى)، تقديم زهير ميرزا، ص321.
[6] - الشاعر المهاجر، إيليا أبو ماضي، فؤاد ياسين، ص66.

أحسنْ وإنْ لَم تُجزَ حتى بالثنـا أيَّ الـــجزاء الغيثُ يبغى إن همى
مَنْ ذا يكافئ زهرةً فوّاحـــــةً؟ أو مَـــــنْ يثيبُ البلبلَ المترنما؟
يـَاصَاحِ خذ عِلم المَحَبّة عنهما إنّي وجـــــدتُ الحبّ علمًا قيّمًا
فاعمل لإسعاد السَّوى وهنائهم إن شئت تسعد في الحياة وتنعما[1]

إن فعل الخير لذاته شعور إنساني لاتحتمله مُثل الغرب النفعية و لامذهبه الإنساني.

وفي مكانٍ آخر يعود إلى طابع الشرور لدى الناس:

وَالمَرْءُ وَحشٌ فَإنْ تَـــرَقَّى أَصْبَحَ شَـــرًّا مِنَ الوُحُوشِ
فَخَفَهُ حُرًّا وَخَفْهُ رِقًّـــــا وَخَفْـــهُ مَلْكًا عَلى العُرُوشِ
فَالشَّرُ فِي النَّاسِ كَانَ خَلْقا وَأيُّ طَيْـــــــرٍ بِغَير رِيشِ؟

***

إنْ كَانَ لِلوَحْشِ مِنْ نِـيُوب فَالنَّـــــــاسُ أنْيَابُهُمْ حَدِيدُ
مَا كَانَ، وَاللهِ، للـــحُرُوب لَـــــــــولَا بَنُوْ آدَمِ وُجودُ
لَوْ أمّحَى عَالَمُ الـــخُطُوبِ لَـــــقَامَ مِنْهُم لَهَا مُعيدُ[2]

وكذلك قد أخذ صراع بين الخير والشرّ قسطًا كبيرًا من حياة الشاعر رشيد سليم الخوري الذي يقول في ديوانه القرويات:

لَعَمْرُكَ كُلّ هَذا الشرّ خيرٌ إذا مَا قِيـــسَ بِالشَرِ الكَبيرِ
أشَدُّ بَلية ذَنبٌ طَـــفيفٌ يَجرّ عَلَيكَ تبكيتَ الضّميرِ!!

***

ألـــذُّ ملذّةٍ صُنعُ جَميلٌ تنامُ لَدَيْهِ مُرتاحَ الضَّميرِ!![3]

وتأخذ جدلية الصراع بين الخير والشرّ طابعًا رومانتيكيًا عند فوزي معلوف، إذ يمثل الإنسان الشرّ لدى فوزي معلوف في مطولته (على بساط الريح)؛ فهو الذي استعمر أرضه وشرده منها، وهو الذي يمتصّ عرقه و قوّته في مهجره، أما عنصر الخير فتمثله الطبيعة؛

---

[1] - الخمائل، من قصيدة (كن بلسمًا)، إيليا أبو ماضي، ص300،299.
[2] - ديوان إيليا أبو ماضي، من قصيدة (البلبل السجين)، زهير ميرزا، ص118،117.
[3] - الشاعر القروي، عبداللطيف شرارة، ص122، دار صادر- بيروت، 1960.

obeikandi.com

هذه الأم الرؤوم الحنون على ابنها الشاعر، وسرعان ما أنكرت الطيور والنجوم والأرواح هذا البشر الذي شقّ أديم مملكتها السماوية لظنها السوء به كأي إنسان آخر من البشر، فيقول:

أنَا عَنْ وَصِفِ شرّهِ عَاجـــــزٌ وَاللهِ، مَهْمَا أَفضْتُ في تِبْيانِـهْ
مَا دَعَوهُ الإنسان مِن أُنســـــهِ لَكنْ دَعوهُ الإنسان مِن نِسيانِهْ
نَسِيَ الخيرَ حِينَ أَوْغلَ في الشرّ فَدَاسَ الضميرَ في عِصيـــانِهْ
مَلأتْ قَلبَهُ الأفاعيَ فَلا يُـــسمع غــيرُ الفحيحِ في خَفَقـــــانهِ
حَسَدٌ نَاهِشٌ بَقيَةَ مَـــــــا فـي نَفْسهِ مِن إبائهِ وَ حَنَـــانِهْ[1]

ولكن الشاعر في النهاية غير بقية البشر الذين يعيشون معه و يتّصفون بهذه الصفات؛ لأن روح الشعر تخلصه من النقص والشرور و ترتفع به فوق مقام الإنسان ابن الخطيئة، وهذا يعني أن الشعر عند المعلوف هو الخلاص، إذ يرقى به ويتخلص من نزعة الشرّ لديه، والشاعر بذلك كلّه ينم عن نزعة رومانتيكية واضحة.

أما فوزي المعلوف في نظرتهِ العظيمة إلى الحياة، فبدا له أن شرَّها يطغى على خيرها، وأغنت روح المعرّي الفلسفية في (على بساط الريح)؛ إذ تتقارب الرؤيتان اللتان ينبثق عنهما المعري والمعلوف في نظرتهما إلى الإنسان والحياة وهي رؤية قائمة على السوداوية والتشاؤم، فيقول المعلوف:

لَيْتَهُ عَادَ للثَرَى مثْلَـمَا جَـاءَ نَـقيًّا بِنَفسِـــــــــهِ وَ إهابِهْ
جَاءَ وَالحُسْنُ والرُّواءُ رَفيقاهُ وَثَـــوْبُ العَفَافِ كُـــلُّ ثِيَابِـهْ
وَتَولّى يَقودُه الإثمُ والـــدَّاءُ إلى القَبرِ فِي رَبيعِ شَـــبَابِـهْ
هُوَ يَحيا للشرِّ، فالشرُّ يَحيـا أبدًا، حيثُ حـلَّ شؤْمُ رِكابِـــهْ
وَهْوَ لا يَنفَعُ البَسيطـــةَ إلاَّ حَيثُ يَثوي في القَبرِ بَيْنَ رِحابِهْ
حِينَ يمتصّهُ الثّرى فَيـــغْذّي مِنهُ مَا فِي الأديْم منْ أعْشَابِهْ[2]

فأتى الشاعر هنا بصورة تتدافع قوى الشرّ من خلالها، وكانت القيود فيها استيعابًا مكملاً لسائر الشرور التي يمكن أن تأتي من الإنسان في مرأى (فوزي)، (فالشر يحيا أبدًا

[1] - على بساط الريح، فوزي المعلوف، (قصيدة رُقي كاذب)، ص28.
[2] - السابق، من قصيدة (حفنة من تراب)، ص26.

حيث حل شؤم ركابه) فالتأييد لحياة الشرّ فيه في لفظ (أبدًا) وتواجد الشرّ أينما حل الإنسان في (حيث)، وسائر انتقالاته على الأرض مشئومة[1].

فهو يرى الإنسان ابن التراب شريرًا تفر منه كلُّ أشكال الخير والبراءة من طيور ونجوم وأرواح، ولقد بنى شفيق معلوف نظرته إلى الإنسان على أساس الشرّ الذي هو أصل فيه، لذلك لو نظر الإنسان إلى نفسه لعرف حقيقة الشرّ الكامن فيها، فيقول:

فَقُم و خُضْ لجةً ديجورِها واعمَلْ عَلى تَمْزِيق جَلبَابِها
قُمْ فَتَرى كَيْفَ شَياطينُها تُطِلّ مِن عَيْنيكَ فِي بَابِها
وَكَيْفَ منْ فيكَ ثَعَابِينُها تنْسلُّ مِن فَوْهَةِ سَرَادبها[2]

وقد جعل ذلك مبررًا لنفور الجن من الإنسان، ولاستعادة عرافة عبقر من شرّه فيقول:

فَانْتَفَضَتْ وَ الجنُّ مِن حَولِهَا أجفلْنَ وَارفَضضْنَ بَيْنَ الشَجَرْ
وَدَمْدَمَت سُخطًا وَقَدْ هَالَهَا أنْ يُقلِقَ الأرواحَ مَرأى البَشَرْ[3]

وتأخذ صورة الصراع منحى آخر لدى شاعر لايرى الشرّ في نفس الإنسان، بل يراه في معتقداته وغيبياتهِ التي يؤمن بها فالخير والشرّ لديه هما العلم والدين، فالعلم هو الخير وقوتّه التي تملك العقل والضمير الحيّ، أما قوى الدين (الغيب) فيمثّلها منذ البداية منكر ونكير، ثمّ يمثلها في الجحيم جيش الملائكة بقيادة عزرائيل، وجيش الخير يمثله العلماء والمفكرون والشياطين، وأيضًا يقول شفيق المعلوف على لسان العرافة:

وَيْحَكَ يَا إنْسَانْ
ألقِ عَصَا سِحرِكْ
ذَعرْتَ فِينَا الجَانْ
فَعُذْنَ بالشَيطانْ
مِن شَرِكْ

---

[1] - ينظر أدب المهجر بين أصالة الشرق و فكر الغرب، د. نظمي عبدالبديع محمد، ص169.
[2] - عبقر، شفيق معلوف، ص35، مطبعة الشرق،1936.
[3] -السابق، ص42.

***

وَدِدْتُ يَـــا غَادرُ لَـــــوأنَنِي
أَطْـلَقتُ ثُـعبـــانيَ لاَ يَنْثَنـي
عنكَ فَيُرديـك، ولكـــــنني
أَخْشَـــــــى عَلـى الثُعبـــانْ
مِن غَـــــــــــــــــدرِكْ
فِي نَابـهِ السُـــــــــمٌّ كَـانْ
وَصَـــــــارَ فِي صَـــــدرِكْ
فَلَيسَ هَـذا الصِلُّ بالأفعـــوانْ
بَلْ أَنتَ يَـــــا إنْسَـــــــان
فَـــــــارجِعْ إلى وَكــرِكْ[1]

وفي مكانٍ آخر يتوجه شفيق المعلوف إلى الله (سائلاً إياه الإفناء للوجود الذي لم يبق أمل في إصلاحه، أو على الأقل يأخذه هوإليه، فما عاد يطيق طوفان الشرور يقضي على منازع الخير) [2] فيقول:

إلَهي سَألتُكَ تَدْمِيرَ هَذا الـــــ وجـــــود، وَ تَحْطِيمه بِيَدِك
سَألتُكَ خَنْقَ الشرُورِ، فَـــهَلاَّ خَنَقْتَ الشـرُورَ عَلـى قَدَميك؟
أَلَسْت تَرى فِي الحَيَاةِ جموعًا تَقْـــرَح أعمَـأـلَهم نَاظريك؟
فَأفْن الوجود، وَخُذهُمْ إليـــكَ وَإلا فَيَـــارَبْ خُذْني إليك[3]

هل الإنسان خير بطبيعته أو هو شر بطبيعته؟ سؤال عمره يناهز عمر الإنسان نفسه؟ ومنذ طفولة الإنسان وحتى شيخوخته وهو يخضع في أعماقه لصراع لا هوادة فيه بين الخير والشر، وإذا كان هناك من يعتقد أن الغلبة تكون دائمًا للخير، فإن هناك أيضا من يعتقد أن الغلبة لاتكون إلا للشرّ، وَيصعب في جميع الأحوال التوفيق بين الفريقين نظرًا لأزلية

[1] - عبقر، شفيق المعلوف، من قصيدة (حديث العرافة)، ص46.
[2] - ينظر أدب المهجر، د.عيسى الناعوري، ص 324.
[3] - عبقر، شفيق المعلوف، ص101.

الصراع بين الخير والشر، بين الأخيار والأشرار منذ هابيل وقابيل إذ عُدَّ في البداية أنّ الله هو من خلق الخير والشّر وهو الّذي يمتحن عبده وذلك لعدّه السّبب الأوّل لكلّ شيء.

هذا العالم غاية من الغايات الكبيرة التي اتجه إليها الفلاسفة المثاليون منذ أفلاطون في جمهوريته الفاضلة، إلّا أنّه مع تطوّر الوعي الإيمانيّ نفى الإنسان فعل الشّرّ عن الله وأوعزهُ إلى الشّيطان، لكن أرى أن القارئ للشعر المهجري يحس بأن هذه الثنائية قد عذبتهم كثيرًا، وأن هذين الطرفين المتناقضين يصنعان باجتماعهما كُلاً متكاملاً، وأنهما مع ذلك حقيقتان أزليّتان في النفس البشرية، وكل شاعر من الشعراء كانت له نظرته الخاصة إلى هذه الثنائية.

فمن خلال هذا الفصل حاولت أن أنظر إلى ما هية الخير وما هية الشرّ، وأرى أن القول في الخير أو الشرّ ما هو إلا حكم من وجهة نظرنا، فالحقيقة أنه يجوز أن نكون على إطلاق هذا الحكم نسبيين، فالخير بنظري يمكن أن يكون له جوانب شرّ بالنسبة لشخصٍ آخر, أو للآخرين.

obeikandl.com